مجلة إكليل للدراسات الانسانية
التصنيف الورقي: العدد 24 /كانون الاول/2025
المجلد(6)- العدد(4)-الجزء(1) IASJ–Iraqi Academic Scientific Journals

ملامحُ المَنهجِ المُقارِنِ في كتابِ المُقْتَضبِ للمُبَرِّد

م.د. نرجس عبد الرضا حسين
مركز التعليم المستمر–جامعة ذي قار

الكلمات المفتاحية: المنهج المقارن ، كتاب المقتضب ، ملامح تطبيقية

الملخص:

يسعى البحث للكشف عن ملامح المنهج المقارن الذي اتبعهُ المبرد في كتابه "المقتضب"، من خلال تحليل خطواته في عرض الآراء، وآلياته في الموازنة بينها، ومعاييره في الترجيح. ومحاولة البحث في مدى التزام المبرد بالموضوعية في مقارناته، ودور السياق اللغوي والاستشهاد بالشعر والقرآن في تعضيد أحكامه.

إشكالية البحث :

تبدأ الإشكالية بتساؤل هل إنَّ مناهج البحث الحديثة ومنها المنهج المقارن وليدة العصر أم كانت لها بوادر وجذور في الدراسات العربية القديمة ، وبعد الاطلاع ارتئينا اختيار كتاب المقتضب للمبرد للبحث فيه عن أبرز ملامح المنهج المقارن التي نهجها المبرد في معالجة القضايا النحوية والصرفية ، ومحاولة معرفة مدى تأثير المنهج المقارن الذي اتضح عند المبرد على تطور البحث الحديث.

أهمية البحث وأهدافه :

تأتي أهمية هذا البحث من تسليط الضوء على التراث اللغوي العربي وإعادة دراسته للكشف عن الملامح المنهجية المتقدمة فيه التي تُعد جذوراً للمناهج الحديثة ، فإنَّ إعادة البحث في التراث بشكل جديد يساهم في إثراء الدرس اللغوي الحديث.

المقدمة:

يعدُّ كتاب" **المقتضب** "لأبي العباس المبرد (ت285هـ) من أشهر المؤلفات النحوية التي عكست جهود علماء القرن الثالث الهجري في تأصيل القواعد النحوية وتحليل الظواهر اللغوية. ويتميز هذا الكتاب . إلى جانب كونه موسوعة نحوية شاملة . باحتوائه على منهجية نقدية مقارنة، إذ

يعرض المبرد الآراء النحوية المختلفة موازناً مُبيناً أوجه الاتفاق والاختلاف بينها ، مع إبداء ترجيحاته الخاصة بناءً على الأدلة النصية والعقلية.

تأتي أهمية هذا البحث من كونه يُظهِر جانبًا منهجيًا بارزًا في تراثنا النحوي، وهو النزعة المقارنة التي سبقت المناهج الحديثة في الدراسة اللغوية، كما أنَّه يسلطُ الضوءَ على عبقرية المبرد في الجمعِ بينَ الرواية والدراية، والنقل والعقل، مما يجعل "المقتضب" مرآةً لعصره ومنهجًا رائدًا في الدراسات المقارنة.

وسيعتمدُ البحثُ على المنهجِ الوصفي التحليلي، بتتبعِ مواضعَ المقارنة في "المقتضب"، وفحصها في إطارها التاريخي والعلمي، للوصول إلى رؤية واضحة حولَ آليات العمل المقارن عند المبرد وأهدافه.

في إطار الحضارة الإسلامية كان كثير من النحويين واللغويين يؤلفون العربية ويعرفون الفارسية أو التركية نحو سيبويه والسيرافي ، ويبدو أنَّ المبرد من هؤلاء إلا أنَّه سارَ على نهج أسلافه في حصر البحث اللغوي على العربية من دون سواها ، إلا انَّنا عندما أمعنا النظرَ في كتابه (المقتضب) ، وجدنا ملامحاً تحكي المقارنة من غير تصريح لكنَّها تكفي بأنْ تهدي القارئ وتفتح أمامه أفق البحث ، لذا ارتئينا الوقوف على بعضها إنْ لم تكنْ كلها ، فجاءت الدراسة على شكل نقاط سيوضحها مضمون البحث.

أولاً: ملامح المنهج المقارن:

يُعرّف المنهجُ المقارنُ بأنَّه "مقاربة للظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تنتمي إلى مجموعة لغوية أو عائلة لغوية واحدة"[1]، وهو منهجٌ في عمومه يركزُ على بحثِ الظاهرة في أكثر من لغة، ويركزُ بشكلٍ خاصٍ على بحثِ الظاهرة في اللغات التي تنتمي إلى أصلٍ واحدٍ كاللغات السامية أو الحامية أو الهندية أو الأوربية ، ويكون هدفه من ذلك التأصيل التاريخي، كأن يستدل على قِدَم الظاهرة بالتماسها في أخواتها أو حداثتها بتفرّد اللغة المعنيّة بها من بين أخواتها بحسب تاريخ حياة تلك اللغة[2]. كما يمكن أنَّ تُعقد المقارنة في هذا المنهج بين لهجتين أو مدرستين حول ظاهرة لغوية واحدة ... وغيرها من ضروب المقارنة. وأدلة هذا المنهج ربما لا تكون قاطعة ، لكنها تسمح ببناء تصور مقنع في كثير من الأحيان عن الأصل التاريخي لكثير من الظواهر.

وعندما نريدُ أنْ نؤرخَ للمنهجِ المقارن _بهذا المفهوم_ في دراسات العرب القدماء ، فإننا لا نجد الدراسات المقارنة منهجاً متبعاً لدى العلماء القدماء ، إلا أنَّ كتبهم لا تخلو من الملامح العرضية العابرة (الثانوية غير الثابتة) ، والإشارات المقارنة السريعة كالتي أشار إليها سيبويه والفارسي

وابن جني وغيرهم ، ولم تكن هذه الإشارات من خلال منهج محدد المعالم ، واسع النطاق على النحو الذي عرفته الدراسات اللغوية في القرون الثلاثة الأخيرة[3].

ويبدو أنَّ القدماء كانوا يعلمون بوجود صلة وثيقة تربط اللهجات العربية فيما بينها من جهة وتربط العربية بلغات أخرى كالعبرية ، والكنعانية، والسريانية، من جهة أخرى. فقد أشار الخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ) في كتاب العين إلى أنَّ الكنعانيين كانوا يتكلمون بلغة تُضارع العربية ، وقارن أبو عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ) بين أداة التعريف في العربية والسريانية ، وأشار ابن حزم الأندلسي (ت456هـ) إلى الصلة بين العربية والسريانية والعبرية والحميرية، وفي هذا المجال أيضاً أبو حيان الأندلسي، وله كتاب في الحبشية اسمه (جلاء الغبش عن لسان الحبش)[4].

لكننا في الحقيقة لا نقع على معالجة مقارنة بين العربية وإحدى هذه اللهجات (اللغات) عند علمائنا القدماء ، ومن الممكن أنَّ السبب في ذلك تعصبهم للعربية وعكوفهم على دراستها ، بل ورؤية بعضهم أنَّها أفضل اللغات ، كما يتضح من عنوان (باب القول في أنَّ لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها) الذي أفرده ابن فارس في (الصاحبي) لبيان علو منزلتها عن اللغات جميعاً ، وتفضيله إياها عما سواها .

كما يمكن القول إنَّ القرون الأولى كان جمع ألفاظ العربية وتصنيفها وتدوين علومها ودراسة قضاياها ، والعمل على تقعيد قواعدها ، وجمع شتات مسائلها مشغلة العلماء التي صرفتهم عمّا سواها .

ثانياً: تطور المنهج المقارن:

المعلوم أنَّ المنهج المقارن قد تطور لدى الغربيين، وكان واضحاً في دراساتهم، ثم نقله المستشرقون إلى الدراسات العربية، وتُنسب بداية الدراسات المقارنة عند المستشرقين إلى (وليم جونز) عندما اكتشف اللغة السنكريتية عام (1786م) في الهند ، وعلاقة هذه اللغة باللغات الأوربية، فالبداية الأولى كانت في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع عشر[5]، وبذلك مهّد (وليم جونز) لمنهج عُرف باسم (المنهج المقارن) ، ثم تطور هذا المنهج شيئاً فشيئاً حتى أصبح له رواد من المستشرقين أمثال : (شليجل) الذي أصدر كتاباً دعا فيه إلى النحو المقارن، و(فرانزبوب) الذي أصدر كتاباً قارن فيه السنسكريتية ومجموعة من اللغات الأخرى وعنوانه (نظام التصريف في اللغة السنسكريتية) وله كتاب آخر عنوانه (النحو المقارن)، و(أوجست سليخمر) وكتابه (تركيب النحو المقارن في اللغات الهندوجرمانية) ، وجريم وكتابه (النحو الألماني)[6]،

وتوالت الأبحاث الاستشراقية ضمن هذا المنهج حتى وصلت للمستشرق (كارل بروكلمان) في كتابه (الأساس في النحو المقارن للغات السامية) ثم ألف (براحشتراسر) (المدخل إلى اللغات السامية)[7]، وسبب اهتمام المستشرقين بالمنهج المقارن ؛ هو ما توصلوا إليه بفضل استعمالهم لهذا المنهج ، فبفضله أدركوا العلاقة بين اللغات ، وصنفوا اللغات إلى فصائل ، كما استفادوا من هذا المنهج في دراسة تأصيل اللهجات ، وعرفوا مراحل التطور والتغيير الذي يحدث في عناصرها، ونحا نحوهم الباحثون العرب المحدثون، فقد فسّروا عدداً من المسائل الصوتية والصرفية والنحوية في ضوء المنهج المقارن ، والبحث في الساميات أخوات العربية.

ثالثاً/ تجليات المنهج المقارن في "المقتضب":

1-المقارنة مع الأصل

- الأصل في "نعمَ وبئسَ"

في باب (ما وقع من الأفعال للجنس على معناه) ، أشارَ المبردُ إلى أنَّ (نِعْم وبِئْس) كان أصلهما (نَعِمَ وبَئِس)[8]، أي أفعال جامدة لكنَّه لم يصرحْ بتفاصيل هذه الأصول وأسبابها. مع إنَّ النصَ يُظهرُ اعتماده على المقارنة بين الاستعمالات اللغوية.

ففي (نعمَ الرجلُ ونعمَ الدارُ وبئست الدابة) ، قال: "أما قولك الرجل ، والدابة والدار فمرتفعات بنعم وبئس ؛ لأنَّهما فِعْلان يرتفع بهما فاعلاهما وَأما قَوْلك زيد وَمَا أشبهه فَإِن رَفعه على ضَرْبَيْنِ أَحدهمَا أَنَّك لما قلت نعم الرجل فَكَأَن مَعْنَاهُ مَحْمُود فِي الرِّجَال قلت زيد على التَّفْسِير كَأَنَّهُ قيل من هَذَا الْمَحْمُود فَقلت هُوَ زيد وَالْوَجْه الآخر أَنْ تكون أردْتَ بزيد التَّقْدِيم فأخرته وَكَانَ مَوْضِعه أَنْ تَقول زيد نعمَ الرجل" [9].

فالمبرد أعلم الدارس والباحث بأنَّ (نِعْم وبِئْس) أفعالٌ وأصلهما كذلك واكتفى بهذه الاشارة ، ولم يتطرقْ إلى الأصلِ السامي لهذه الأفعال ولم يصرحْ بأنَّ الفعلَ في اللغات السامية هو الأصلُ الذي يشتقُ منه كل الكلمات والصيغ. والعربية شأنها شأن أخواتها السامية ، ويبدو أنَّ سبب ذلك؛ هو غيابُ العناية بالدرسِ المقارن آنذاك ، ولتركيز العلماء _ومنهم المبرد_ على القاعدة النحوية بالدرجة الأولى.

واتضح أنَّ المبرد كان محقاً في منهجه عندما صنف "نعم وبئس" كأفعال لما يتوافق مع المنهج المقارن الحديث الذي يرى أنهما أفعال في السامية. فعندما نأتي إلى "إسرائيل ولفنسون" مدرس اللغات السامية بالجامعة المصرية سابقاً نجده يذكر من ضمن مميزات اللغات السامية وخصائصها: "ان أغلب الكلمات يرجع في اشتقاقه الى أصل ذي ثلاثة أحرف (لبعضها أصل ذو

حرفين) وهذا الاصل فعل يضاف الى أوله أو آخره حرف أو أكثر فتتكون من الكلمة الواحدة صور مختلفة تدل على معان مختلفة" [10]. ففي اللغات السامية الفعل هو كل شيء فمنه تتكون الجملة ولم يخضع الفعل للاسم والضمير بل نجد الضمير مسنداً إلى الفعل ومرتبطاً به ارتباطاً وثيقاً[11].

- الأصل في (حبذا) واشتقاقها :

يبدو أنَّه من الصعبِ أنْ ندرسَ كلمة ما أو أنْ نقفَ على معانيها ، وأصل اشتقاقها من دون أنْ نتطرق إلى بقية اللغات الشقيقة لها ، التي لها الأصل نفسه ، لذا قيل : أن القدماء "لم يوفقوا إلى بيان المعاني الدقيقة التي تؤديها كثير من الكلمات ، لأنَّه ليس من الممكن في كل الأحوال أن يهتدي الباحث إلى أصل اشتقاق الكلمة إذا اقتصر بحثه على لغة سامية واحدة" [12].

وفي المقتضب وجدنا المبرد يبحث في أصل (حبذا) من خلال المقارنة بين الأصل (التركيب الأصلي) والاستعمال النهائي (التركيب الاصطلاحي) فالحالة الأصلية قبل التسمية: حبَّ + ذا (فعل أمر + اسم إشارة) والتقدير أحبب هذا ، والحالة النهائية بعد التسمية : حبذا (اسم مركب واحد مبني على السكون ، بمعنى "نعم" أو "حسن" للمدح).

كما نلمح للمبرد في هذا الموضع مقارنة بالظواهر النحوية المماثلة (القياس على الأمثال)، إذ نلحظ عند شرحه هذه الظاهرة (جمود تركيب حبذا وعدم تغايره حسب الإعراب) يقارنها بظاهرة أخرى معروفة ومتفق عليها وهي (الأمثال السائرة) ، يقول: "فانتقلا عمّا كانا عليه قبل التسمية ؛ كما يكون ذلك في الأمثال ، نحو: ((فإنك فاعلة) ونحو: (الصيف ضيَّعتِ اللبن) ؛ لأن أصل المثل إنَّما كان لامرأة ، فإنَّما يُضرب لكل واحد على ما جرى في الأصل ، فإذا قلته للرجل فإنَّما معناه: أنت عندي بمنزلة التي قيل لها هذا" [13]. ومعناه أن أصل المثل كان لقصة معينة (امرأة في حالة النصب أو الخبر) ، ولكن عندما يُستعمل المثل أصبح جملاً لا تتغير (تُقال للرجل والمرأة على حد السواء مع بقاء صيغتها كما هي). والشيء نفسه حدث ل "حبذا" ، فقد تجمدت على صيغة واحدة (حبذا) بمعنى المدح، بغض النظر عن موقعها الإعرابي أو ما يليها. وهذه مقارنة توحي للقارئ أن ما حدث مع حبذا ليس شذوذاً بل له سوابق في اللغة ، كما أنَّه تركيب ساميٌّ قديم اشتركت به العربية مع أخواتها.

- **العلة في حذف (ياء) النسب و إثباتها:**

أشار المبرد في باب الإضافة (باب النسب) إلى حذف الياء وإثباتها ، وعنده حذفها جائز ، إذا كانت فيه ياء قبل آخره ، وكانت الياء ساكنة ؛ لأنَّها حرف ميت أي زائد ليس من أصل الكلمة ، وآخر

الاسم ينكسر لياء الإضافة ، فتجتمع ثلاث ياءات مع الكسرة ، فحذفوا الياء الساكنة لذلك[14]، وعند سيبويه وأصحابه إثباتها هو الوجه[15].

ثم ألمح إلى الأصل في قولهم : الخُربة : خُربى ، وفي السليقة : سَلِيقي ، فهو كلحِحَتْ (التصقت) عينه[16].

مما تقدم نلحظ أنَّ المبرد اكتفى بالتلميح المار إلى الأصل من دون أن يصرح بالمقارنة ، كما اختصر التمثيل للأصل الذي عاد إليه ، والأمثلة كثيرة جداً كثرة تشير إلى أصالة الهاء في اللهجات ، وإذا ما تركنا اللهجات العربية البائدة ، وانتقلنا إلى لغات المجموعة الشمالية الغربية، فإننا سنجد أن الكنعانية استعملت سابقة الهاء أيضاً للدلالة على التعريف ، مثل: hhr أي: الخرص وهو الذهب أو الخَّراص وهو الصائغ ، و Aksp أي الفضة ، و hrbt أي الربّة ، وكذلك الحال في المؤابية التي استعملت سابقة الهاء ، كما في hdybny أي : الديباني، وهي منسوبة إلى ديبون عاصمة المؤابيين. وقد تحذف هذه الهاء في بعض السياقات التركيبية ، كما في hass bayyom بمعنى في اليوم السابع ، فكلمة (bayyom) مكونة في الأصل من (hayyom) التي دخلت عليها ياء النسب، فحُذفت هاء التعريف وانتقلت حركتها إلى الياء[17].

2- المقارنة بين آراء البصريين والكوفيين

- البحث في (لا) في باب ما تعمل فيه (لا):

تتضحُ ملامحُ المنهج المقارن عند المبرد في باب ما تعمل فيه "لا" من خلال ملاحظته يقارن بين موقف البصريين والكوفيين في عمل "لا" ، مقارنة موضوعية ويوازن بين أدلة الفريقين لينتهي إلى الرأي الأقوى في أدلته ، فالبصريون يرون أن "لا" تعمل عمل "إنَّ" فتنصب الاسم وترفع الخبر ، مثل (لا رجلَ في الدار) ويستدلون بالشواهد الشعرية والقرآنية ، مثل قوله تعالى: (لا فيها غولٌ ولا هم عنها ينزفون) {الصافات:47}، اذ نصبت "غول" في قراءة أبي عمرو. أما الكوفيين فيرفضون القول بنصب "لا" لما بعدها ويجعلون الاسم بعدها مرفوعاً ، مثل (لا رجلٌ في الدار) ويحتجون بقراءات قرآنية أخرى ، مثل قراءة ابن كثير: (لا غولَ فيها) بالنصب. وانتهى المبرد بعد هذه المقارنة إلى اختيار النصب كونه الأكثر في كلام العرب.

ونلحظ هكذا تلميحات مقارنة حول "لا" النافية تطورت في الدراسات الحديثة اذ انتقلت من المقارنة بين المدرستين البصرية والكوفية إلى المقارنة القائمة على التحليل الصوتي والدلالي والتركيبي ...[18].

- **البحث في باب اسم الفاعل والمفعول من هذا الفعل:**

نلمح المبرد يُقدم انموذجاً رفيعاً للمنهج المقارن في الدرس اللغوي القديم ، إذ ابتدأ بطرح الظاهرة الصرفية التي تتعلق ببناء اسم المفعول من الأفعال المعتلّة اللام (بالواو أو الياء) مثلاً: من الفعل "عاون" الأجوف الواوي يُقال: "مَعون" ولا يُقال "مَعوُون" ومن الفعل "باع" الأجوف اليائي يُقال: مَبيع ولا يُقال مَبْيُوع معللاً حذف أحد الأحرف بالتقاء الساكنين. ثمَّ أخذ يقارن بين المذاهب المختلفة في تفسير هذه الظاهرة مسلطاً الضوء على أدلة كل فريق ومنهجه في التحليل وعلى النحو التالي:

مثَّلَ للمدرسة البصرية برأي سيبويه والخليل بن أحمد اللذان يذهبان إلى أنَّ الحرف المحذوف هو الواو الزائدة في صيغة "مَفْعُول" ، قال: "فأَمَّا سِيبَوَيْهٍ والخليل فإِنَّهما يزعمان أَنَّ الْمَحْذُوف وَاو مَفْعول لأَنَّهَا زَائِدَة وَالَّتِي قبلهَا أَصليّة فَكَانَت الزِّيَادَة أَولى بالحذف وَالدَّلِيل على هَذَا عِنْدهمَا مَبِيع فَلَو كَانَت الْوَاو ثَابِتَة والياءُ ذَاهِبَة لقالوا مَبُوع"[19]. ثم تظهر الموازنة عند المبرد بانتقاله إلى عرض رأي الكوفيين في هذه المسألة ممثلاً لهم بالأخفش الذي يرى أنَّ الحرف المحذوف هو الحرف الأصلي (الواو أو الياء) من جذر الفعل ، وتبقى الواو الزائدة واو "مَفْعُول"، قال: "وأَمَّا الأَخفش فَكَانَ يَقُول المحذوفة عندي الْفِعْل لأَنَّه إِذا التقى ساكنان حذف الأَوَّل أَو حرّك لالتقاء الساكنين فقيل للأخفش فإن كان الأول المحذوف فقل في مبِيع مَبُوع لأَنَّ الياءَ من مَبِيع ذهبت والباقية وَاو مفعول فَقال قد علمنا أَنَّ الأصل كان مَبْيُوع ثم طرحنا حركة الياء على الباء الَّتِي قبلها كما فعلنا في يَبِيع وكانت الياءُ في مبْيُوع مَضمُومَة فانضمت الباءُ وسكنت اليَاء فأبدلنا من الضمّة كسرة لتثبت الياءُ ثم حذفنا لالتقاء الساكنين فصادفت الكسرة واو مفعول فقلبتها كما تقلب الكسرة واو ميزَان وميعاد"[20].

وفي عرض المبرد المتقدم لرأي المدرستين نلمح الموضوعية ، إذ يطرح الآراء بحيادية مع ذكر ادلتها تاركاً للقارئ فرصة المقارنة والتفكير والاستنباط ، والموضوعية اليوم أصبحت من سمات المنهج المقارن كمنهج بحثي يدعوا إليه الدرس الحديث.

3- المقارنة بين اللهجات

- الهاء في باب ما يكون عليه الكلم بمعانيه :

في باب (ما يكون عليه الكَلِم بمعانيه) تحدث المبرد عن الهاء سواء أكانت (ضميراً أم زائدة) واستعمالاتها في العربية ، معتمداً على المقارنة بين اللهجات، فمثلاً في مسألة الإلحاق وعدمه بيَّن من يلحق الواو أو الياء بالهاء عند الوصل كأهل الحجاز ، وفي مسألة نوع الحرف الملحق بيَّن من

يُلحق الواو بعد الكسرة كالحجاز واستشهد لإثبات وجود هذه اللهجة بقراءة {بِهُو} فهم يقرأون (فخسفنا بِهُو وَبدَارِهُو الأَرْضَ) { القصص:81} ومن يلحق الياء كعامة العرب[21] .

وفي مسألة الحذف بيَّن من يحذف حرف اللين (الواو أو الياء) إذا وقع بعد الهاء الساكنة تجنباً لجمع ساكنين (حرف لين ساكن وحرف خفي وهو الهاء) وهذا ما يختاره هو ومن حذا حذوه على قراءة من يقرأ (فألقى موسى عَصَاهُ) ومن يثبت حرف اللين ويلحق الهاء بحرف أخر كالحجاز ، على قراءتهم (فألقى عَصَاهُو فإذا هِيَ)[22] . وبهذا لم يكن عمل المبرد مجرد جمع ، بل كان تحليلاً مقارناً رائداً يؤسس لعلم اللهجات المقارن.

يلحقون الواو أو الياء بالهاء عند الوصل وأصلها عنده أن تتبع بواو لخفاء الهاء ، وردَّ هذا الأمر إلى لهجة أهل الحجاز خاصة ، فهم يقرءون (فخسفنا بِهُو وبدارِهُو الأرض) ، فلزموا الأصل[23].

فلغة الحجازيين في هاء الغائب الضم مطلقاً ، وهو الأصل ، فيقولون ضربته ، ومررت به، ونظرتُ إليه[24].

وذكر سيبويه في (باب ما تكسر فيه الهاء التي هي علامة اضمار اعلم أن أصلها الضم وبعدها الواو، لأنَّها في الكلام كله هكذا، إلا أن تدركها هذه العلة التي أذكرها لك وليس يمنعهم ما اذكره لك أيضاً من أن يخرجوها على الأصل فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة لأنَّها خفية كما أن الياء خفية، وهي من حروف الزيادة كما أن الياء من حروف الزيادة ... وذلك قولك: مررت بهي قبل،وأهل الحجاز يقولون: مررت بهو قبل ولديهو مال ويقرءون (فخسفنا بهو وبدار هو الأرض)"[25].

ولغة غيرهم الكسر بعد الكسرة أو الياء الساكنة إتباعاً ، وما ذكر من إشباع حركة الغائب فهو الأصل، إلا أنَّ اللافظ بذلك بعد ساكن كالجامع بين ساكنين ، فلذلك كثر اختلاس الضمة ، والكسرة في نحو : منه ، وتأتيه[26].

وأما اختلاس الضمة والكسرة بعد متحرك فلغة رواها الكسائي عن بني عقيل وبني كلاب وبهذه اللغة قرأ أبو جعفر (له وبه) وما اشبههما ، قال الكسائي : "سمعت أعراب عقيل ، وكلاب يقولون: (إنَّ الإنسان لربه لكنود) بغير تمام ، وله مال ، وغير بني كلاب لا يوجد في كلامهم اختلاس ولا سكون في (له) وشبهه إلا في ضرورة كقول الشاعر ، وهو الشماخ :

لَهُ زَجَلَ كأَنَّه صوْتُ حادٍ إذا طلبَ الوسيقة أو زميرُ[27]

- **في باب ذوات الياء والواو التي يائتهن وواواتهن لامات**

دراسة المبرد لظاهرة جمع التكسير للأسماء المعتلة ، مثل (رميّة ، غزوة) نلمح فيها بوادراً تطبيقية للمنهج المقارن في وضع القاعدة الأساسية في جمع الكلمات مثل (رَمِيَّة-رَمِيَّات، غزْوة-غَزَوَات، قَشْوَة-قَشَوَات) مُشيراً إلى أنَّها تجري على منهج (حَصَاة - حَصَيات، قَنَاة – قَنَوَات)، إذ تُقلب الياء والواو ألفاً في الجمع لتجنب التقاء الساكنين (الياء الساكنة مع تاء الجمع ، أو الواو الساكنة مع تاء الجمع). وفي الكلام عن الكلمات التي تكون فيها الياء أو الواو في مكان العين أي في وسط الكلمة ، مثل (بَيْضَة ، جَوْزَة ، لَوْزَة) ، إذ يُقلب الحرف المعتل (ياء أو واو) إلى ألف في الجمع (بَيْضَات ، جَوْزَات، لَوْزَات) ؛ لأن ما قبله مفتوح. نجده يميل إلى المقارنة بين اللهجات في التعامل مع هذه الظاهرة ، فذكر أنَّ الأكثر والأقيس في لغات جميع العرب ابقاء الألف ، يقولون: بَيْضَات، جَوْزَات، لَوْزَات. وقابلها بلهجة هُذَيل بن مدركة الذين يقولون: جوَزات ، بيَضات ، لوَزات فلا يقلبون الياء والواو إلى ألف حملاً لها على الصحيح[28].

4- المقارنة بين الأدوات

- **المقارنة بين (أنْ) الخفيفة و(أنْ) المخففة من الثقيلة:**

قارن المبرد بينهما مقارنة صريحة في أمور محددة ، وهي: العمل والنطق والمعنى ، مما يخلق صورة واضحة للقارئ، فقد جعل من العمل أول تمييز بينهما فـ (أنْ) العاملة الخفيفة هي التي تنصب الاسم وترفع الخبر ، و(أنْ) غير العاملة المخففة هي التي لا تأثير إعرابي لها قال: "إنَّ الخفيفة ثابتة ، إنَّما تقع مطلوبة أو متوقعة نحو أرجو أن تذهبَ ، وأخاف أن تقوم، فإذا وقعت مخففة من الثقيلة وقعت ثابتة على معنى الثقيلة ، نحو اعلم أن ستقوم، على معنى قولك : أنك ستقوم ، ولا يصلح أرجو أنك ستقوم ؛ لأنَّه لم يستقرْ عنده؛ لأنَّ الثقيلة إنَّما تدخل على ابتداء مستقر" [29]. وهذا المعيار يجعل المقارنة موضوعية وقابلة للتطبيق على الشواهد وبالأخص القرآنية فالخفيفة استشهد لها بقوله تعالى: (تظن أن يفعل بها فاقرة) {القيامة: 25}، واستشهد للمخففة بقوله تعالى: (إن كل نفس لما عليها حافظ) { سورة الطارق:4}.

كما نلمح له خطوة أخرى في توسيع دائرة المقارنة من خلال مقارنة (أن) بأدوات أخرى لها وظائف مشابهة ، فَرَبطَ (أنْ) المخففة بـ (لولا) ؛ لاشتراكهما في معنى الاختصاص والعمل (نصب الاسم ورفع الخبر) ، وربط (أنْ) المخففة بـ(ما) النافية ؛ لاشتراكهما في معنى النفي المحض وعدم العمل.

من خلال ما تقدم اتضح أنَّ المبرد أكدَّ على أنَّ معنى (أنْ) في الحالتين واحد ، إلا أنَّ الاختلاف في مدخولها ، لكنَّه لم يعد فيما ذهب إليه إلى اللغات السامية ، إذ ثبت أن (أنْ و(إنَّ) وأخواتها و(أنْ)

و(أم) من أصل واحد هو أحداهما والدليل على ذلك أنَّ في سائر اللغات الشرقية لفظة واحدة هي (أم) في العبرية و(ان) في السريانية و(أم) في الحبشية تقوم مقام جميعها استفهاماً وإشارة وشرطاً وتوكيداً واستدراكاً"[30].

فإذا عرفنا أن أصلها واحد يخطر لنا تساؤلاً ، لماذا اختلف القرّاء فيها؟ فيجيب د.هاني عطية بقوله: إنَّ "اختلاف القراء في تشديدها وتخفيفها فتح باب الاختلاف بين النحاة فمنهم من يعملها مخففة ومنهم من يهملها"[31].

- **البحث في (أو) و(أي) في باب (أو):**

على الرغم من أن المبرد لم يُفصّل مقارنةً منهجيةً بين (أو) و(أي)، نلمحه يُقارن مقارنة سريعة بينهما في باب (أو)[32]، إذ أشار إلى بعض الفروق الدلالية والوظيفية ، فذكر إنَّ "أو" تُستخدم في حالات الشك أو التردد بين أمرين، سواء أكان المتكلم شاكًّا أم متيقنًا من وقوع أحدهما من دون تعيين. مثال الشك: (جاءني زيدٌ أو عمرو) لا أدري أيهما جاء. مثال اليقين بأحد الطرفين: (ضربتُ زيدًا أو عمرًا) أعلم أنني ضربت أحدهما، لكن لا أذكره. أي: تُفيد التخيير والتفضيل، أي اختيار أحد البدائل بشكل واضح من دون شك. مثال" :خُذ أيَّ كتابٍ تُريد اختر ما تشاء بلا تردد. الإبهام (عدم التحديد) في "أو" مقابل التحديد في "أي أو: قد تُحدث إبهامًا في الذهن لأنَّها لا تحسم الاختيار. مثل (سأقرأ كتاباً أو مجلة) لم أُحدد بعد. أي: تُزيل الإبهام لأنها تدل على حرية الاختيار الواضح. مثل: (اقرأ أيَّ كتاب تُحب) الخيار لك تمامًا.

المقارنة عند المبرد كانت عابرة فلم يعقد مقارنة مطولة ، كما كانت مقارنة وظيفية ؛ لأنَّه ركز فيها على دلالة "أو" في الشك واليقين الجزئي، بينما تُستخدم" أي "في التخيير والاختيار الواضح . هذه الإشارات تُعد نواةً لمقارنات لاحقة أعمق في الدراسات النحوية والدلالية المقارنة فقد توصل جورجي زيدان إلى أنَّ (أو) و (أي) "من أصل واحد لتقاربهما لفظاً ومعنى، ويؤيد ذلك كونهما في اللغات الشرقية أخوات العربية واحدة هي (أو) فهي الأصل في العربية أيضاً. ويستنتج من المقابلة أنَّ الأصل في دلالتها الموافقة والمساواة بين أمرين ، وعند ذلك يتبين لنا أنَّها بقية لفظة ذات معنى في نفسها فُقدت من العربية وحُفظت في أخواتها ، فهي في السريانية (أوي) طابق أو وافق في العبرانية (أوَه) اختار فيرجح هذه اللفظة هي الأصل نظراً لتوافق المعنى واللفظ واجتماع معنى الموافقة والاختيار معاً إذ إليهما تعود جميع تنوعات دلالة (أو) "[33].

الخاتمة :

توصل البحث إلى جملة من النتائج ، أهمها :

1_ كتاب المقتضب للمبرد لا يخلو من ملامح منهجية مقارنة ، تجعله بمثابة الانجاز المنهجي الفريد الذي عكس قدرة المبرد على المقارنة العلمية الموضوعية النقدية.

2- المقارنات التي اعتمدها يمكننا أنّ نقول عنها: أنَّها أسهمت في تطور الدرس المقارن العربي الحديث ؛ إذ تجذرت منهجية النقد والتحليل والمقارنة وأثرت في فتح الطريق لاتباع اساليب حديثة متطورة.

3_ في بعض المواضع وجدنا المبرد يشير إلى أصول بعض الكلمات لكنه لم يصرح بتفاصيل هذه الأصول وأسبابها كما هو الحال مع (نِعْمَ وبِئْس) .

4_ وجدنا المبرد في المواضع التي ألمح فيها بالمقارنة يختصر التمثيل ، فيكتفي بمثال أو اثنين، وعندما عدنا إلى الدراسات المقارنة وجدنا الأمثلة كثيرة جداً، وهي كثرة تشير إلى أصالة الظواهر في اللغات.

الهوامش:

---

(1) معجم علم اللغة النظري : 48 .

(2) ينظر : المستشرقون والمناهج اللغوية : 41 .

(3) ينظر : المستشرقون والمناهج اللغوية : 42 .

(4) المصدر نفسه: 43 .

(5) ينظر : المستشرقون والمناهج اللغوية : 15_16 .

(6) ينظر : دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن : 59_60 .

(7) ينظر : المدخل إلى علم اللغة العربية ومناهج البحث اللغوي : 202_204 .

(8) المقتضب : 140/2 .

(9) المقتضب : 141/2 -142.

(10) تاريخ اللغات السامية : 14 .

(11) ينظر : في أصول النحو : 142 .

(12) تاريخ اللغات السامية : 217 .

(13) المقتضب : 145/2 .

(14) ينظر : المقتضب : 133/3 .

(15) ينظر : الكتاب : 69/2 .

(16) ينظر : المقتضب : 134/3 .

(17) ينظر : النحو العربي في ضوء اللغات السامية واللهجات العربية : 97_98 .

(18) يُنظر: النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي-الدلالي : 119-122.

(19) المقتضب: 100/1

(20) المصدر نفسه : الجزء والصفحة نفسهما

(21) ينظر : المقتضب:1/36-37.

(22) ينظر: المصدر نفسه : 37/1.

(23) ينظر : المصدر نفسه : 37/1 .

(24) ينظر : شرح التسهيل : 128/1 .

(25) الكتاب : 293/2_294 .

(26) ينظر : شرح التسهيل : 128/1 .

(27) المصدر نفسه : 128/1_129 .

(28) ينظر: المقتضب:193/2

(29) المقتضب: 49/1

(30) الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية : 87 .

(31) نظرية الحروف العاملة : 87 .

(32) ينظر: المقتضب: 3/ 301-303

(33) الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية : 90_91 .

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : الكتب :

1- تاريخ اللغات السامية ، اسرائيل ولفنسون ، مطبعة الاعتماد ، مصر ، 1348هـ_1929م.

2- دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن ، د. صلاح الدين حسنين ، دار الكتب (العلوم) للطباعة والنشر ، 1405هـ_1984م.

3- شرح التسهيل ، محمد بن عبد الله بن مالك الطائي ، تحقيق : د. عبد الرحمن السيد ، د. محمد بدوي المخنون ، هجر للطباعة والنشر ، ط1 ، 1410هـ_1990م.

4- الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية ، جرجي زيدان ، دار الحداثة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1987م .

5- في أصول النحو ، سعيد الأفغاني ، المكتب الإسلامي ، 1407هـ_1987م.

6- الكتاب ، سيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3 ، 1408هـ_1988م ،

7- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1 ، 1417هـ_1997م .

8- المستشرقون والمناهج اللغوية ، د. إسماعيل أحمد عمايرة ، دار حزين ، عمان ، الأردن ، ط2 ، 1992م .

9- معجم علم اللغة النظري ، محمد علي الخولي ، مؤسسة الفلاح للترجمة والنشر والتوزيع ، 1991م .
10- المقتضب ، أبو العباس المبرد (ت285هـ) ، تحقيق : محمد عبد الخالق عظيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، (د.ت).
11- النحو العربي في ضوء اللغات السامية واللهجات العربية القديمة (دراسات مقارنة) يحيى عبابنة ، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر ، الأردن ، 1436هـ_2015م .
12- النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي –الدلالي ، محمد حماسة عبداللطيف ، مكتبة لسان العرب ، دار الشروق ، ط1 ، 1420هـ-2000م.
13- نظرية الحروف العاملة ومبناها وطبيعة استعملها القرآني بلاغياً ، د. هادي عطية مطر الهلالي ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ط1 ، 1406هـ_1986م .

Sources and References

First: The Holy Quran.

Second: Books:

1- History of Semitic Languages, Israel Wulfson, Al-I'timad Press, Egypt, 1348 AH / 1929 AD.

2-Studies in Descriptive, Historical, and Comparative Linguistics, Dr. Salah El-Din Hasnain, Dar Al-Kutub (Al-'Uloom) for Printing and Publishing, 1405 AH / 1984 AD.

3-Explanation of Al-Tashil, Muhammad bin Abdullah bin Malik Al-Tai, edited by Dr. Abdul Rahman Al-Sayed, Dr. Muhammad Badawi Al-Makhnoon, Hegra Publishing and Printing, 1st edition, 1410 AH / 1990 AD.

4-Linguistic Philosophy and Arabic Words, Jurji Zaidan, Dar Al-Hadatha, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1987 AD.

5-On the Origins of Syntax, Saeed Al-Afghani, Al-Maktabah Al-Islamiyyah, 1407 AH / 1987 AD.

6-Al-Kitab, Sibawayh, edited by Abdul Salam Haroun, Al-Khanji Library, Cairo, 3rd edition, 1408 AH / 1988 AD.

7-Introduction to Linguistic Science and Linguistic Research Methods, Dr. Ramadan Abdul Tawab, Al-Khanji Library, Cairo, 1st edition, 1417 AH / 1997 AD.

8-Orientalists and Linguistic Methods, Dr. Ismail Ahmed Amairah, Dar Hazein, Amman, Jordan, 2nd edition, 1992 AD.

9-Dictionary of Theoretical Linguistics, Muhammad Ali Al-Khouli, Al-Falah Translation, Publishing, and Distribution Foundation, 1991 AD.

10-Al-Muqtab, Abu Al-Abbas Al-Mubarrad (d. 285 AH), edited by Muhammad Abdul Khaleq Azimah, Alam Al-Kutub, Beirut, (undated).

11-Arabic Syntax in the Light of Semitic Languages and Ancient Arabic Dialects (Comparative Studies), Yahya Ababneh, Dar Al-Kitab Al-Thaqafi for Printing and Publishing, Jordan, 1436 AH / 2015 AD.

12-Syntax and Semantics: An Introduction to the Study of Grammatical and Semantic Meaning, Muhammad Hamasa Abdul Latif, Lisan Al-Arab Library, Dar Al-Shorouk, 1st edition, 1420 AH / 2000 AD.

13-The Theory of Working Letters, Their Structure, and Their Qur'anic Rhetorical Usage, Dr. Hadi Attiah Matar Al-Hilali, Al-Nahda Arab Library, Beirut, 1st edition, 1406 AH / 1986 AD.

Features of the Comparative Method in Al-Muqtaḍab by Al-Mubarrad

Dr. Nargis Abdul Redha Hussein

Continuing Education Center

University of Dhi Qar

dr.narjus.abdul.husayn@utq.edu.iq

Keywords: Comparative Method, Al-Muqtab Book, Applied Features

Summary:

This research aims to uncover the features of the comparative approach followed by Al-Mubarrad in his book Al-Muqtab by analyzing his methods of presenting opinions, his mechanisms for balancing them, and his criteria for preference. The study also explores the extent to which Al-Mubarrad adhered to objectivity in his comparisons, as well as the role of linguistic context and the citation of poetry and the Quran in supporting his judgments. Research Problem

A question that comes to mind is whether modern research methodologies, including the comparative method, are a product of contemporary times or if they have roots and early signs in ancient Arabic studies. After reviewing the literature, we decided to focus on Al-Mubarrad's Al-Muqtab as a case study to explore the key features of the comparative method that he applied in addressing grammatical and morphological issues, and to examine how the comparative method outlined by Al-Mubarrad contributed to the development of modern linguistic research.

Importance and Objectives of the Research

The importance of this research lies in shedding light on the Arabic linguistic heritage and re-examining it to uncover the advanced methodological features within it, which can be considered as the roots of modern research methods. Revisiting the heritage with a fresh perspective contributes to enriching contemporary linguistic studies